محاضرة رقم 02

2- ظهور وانتشار علم النفس وتطوره في مختلف الحضارات: يعد تطور وانتشار علم النفس عموما على ثلاث محطات وحضارات تاريخية وهما اليونان و الإسلاميين أو ما تسمى العصور الوسطى والأوروبيين أو ما تسمى العصور الوسطى والعصور الحديثة و المعاصرة بظهور عدة مدارس في علم النفس الحديث .

في تاريخ و تطور علم النفس بين مختلف الحضارات وما نجد في تاريخ هذه الحضارات القديمة ما يثير الدهشة والإعجاب ، كالحضارة اليونانية بطابعها الفلسفي بالذات رغما هناك حضارات عظيمة قبل الحضارة اليونانية مثل حضارات مصر وبابل إلا أن اليونان اخترعوا الفلسفة والعلم وهذا دون أن ننفي عرف المصريون و البابليون في علم الحساب و الفلك .

أولا علم النفس عند اليونان

يعود اهتمام الفكر الإنساني بمسائل علم النفس و الطبيعة البشرية إلى العصور الفلسفية اليونانية ، لقد اقتنعوا في جسم الإنسان جانبا غير الذي تدركه الحواس وأن هذا الجانب غير المرئي مسؤول عن بعض الظواهر المحيرة (الشهوات – الدوافع – الأحلام – التردد في أخذ القرارات) وأطلقوا على هذا الجانب المسؤول عن الخبرة و السلوك اسم النفس أو الروح دون يحملوا هذه التسمية أي مضمون ديني ، ويتم التعرف على طبيعة النفس بالوصف و الملاحظة

وكما قد بدأ النظر في موضوعات علم النفس عند اليونان وكان من أبرز علماء وكبار الفلاسفة هم سقراط وأفلاطون وأرسطو .

أ- **سقراط 399 – 470 ق- م :** أثيني – أساس تعاليمه النفسية قوله (اعرف نفسك)وهو يرى أن المعرفة الحقيقية موجودة داخل الشخص ، ولكن انصراف الناس للأعمال اليومية يحيط المعرفة بغشاوة ، فعلى من يريد ان يعرف الحقيقة أن يناقش نفسه وأن يواجهها ، وهو يرى أن الطبيعة الإنسانية تشتمل على قوتين هما العقل و الشهوة ، وهاتان القوتان رغما أنهما تعيشان معا إلا أن الصراع بينهما دائم لاختلاف طبيعة كل منهما.

ب-**أفلاطون 347-427** ق- م : هو الفيلسوف الأثيني الشهير وهو تلميذ سقراط ، سجل آراء في محاوراته الشهيرة وفي كتابة الجمهورية وقد قسم النفس إلى ثلاث أقسام

النفس العاقلة و النفس الغضبية و النفس الشهوانية وقد حدد مكانا لكل قسم النفس العاقلة مركزها الرأس لأن الرأس أعلى جزء في الجسم فهو أقرب إلى السماء كما أنها مستديرة و الدائرة أقرب الأشكال الرياضية إلى الكمال ، أما النفس الغضبية فموطنها القلب و النفس الشهوانية موطنها البطن .

و النفس بالنسبة للجسم مثل الربان بالنسبة للسفينة يقودها وسط العواصف حتى يصل بها إلى غايتها وهذه النفس الإنسانية أشبه بعربة يجرها جوادان جامحان هما النفس الغضبية و النفس الشهوانية ، أما القائد فهو النفس العاقلة التي عليها أن تسيطر على النفس الغضية و الشهوانية وتخضعها لسيطرتها.

ج- **أرسطو 322-384 ق-م** :أثيني فيلسوف اليونان الأكبر وهو تلميذ أفلاطون وهو أكبر فيلسوف في تاريخ الفكر الإنساني كما أنه (الجد البعيد) لعلم النفس لأنه ألف أشهر الكتب القديمة هو كتاب النفس .

وآراء أرسطو في علم النفس تحتاج إلى كتاب خاص ولكن نوجز بعض أرائه في النقاط الآتية :

- ✓ يعرف النفس بأنها (كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة) ويقصد بالكمال أن النفس مكملة للإنسان و الجسم الطبيعي هو الجسم المتحرك ويقصد بجسم آلي أي أنه له آلات وأعضاء أما القوة فمعناها الإمكانية

للوجود و الحياة و الاستمرار ويجد أرسطو ثلاثة أنواع من النفوس :

- **النفس النباتية:** وهي أساس الحياة و الغذاء و النمو وهي موجودة في النبات و الحيوان والإنسان
- **النفس الحيوانية** : ووظيفتها الحركة والإحساس عن طريق الحواس الخمس البصر، السمع ، الذوق ،اللمس و الشم وهي موجودة عند الإنسان و الحيوان
- **النفس العاقلة** : وظيفتها التفكير وهي موجودة عند الإنسان فقط

وأشتهر أرسطو كذلك بنظرية (الوسط) أو مطا تسمى أحيانا "الوسط السعيد " فالفضيلة عنده الإفراط والتفريط وكلاهما رذيلة فمثلا الشجاعة وسط بين الطرفين هما الجبن و التهور ن و الكرم فضيلة وهو وسط بين رذيلتي الشح من جهة والإسراف من جهة أخرى.

ثانيا علم النفس عند الإسلاميين

هناك العديد من العلماء و المفكرين المسلمين في علم النفس في العصور الوسطى نعرض بعض نظرياتهم على النحو التالي :

أ- **الفارابي 827-950** : يسمى في تاريخ الفلسفة المعلم الثاني وهو لقبه الفخري وهو من الفلاسفة وعلماء النفس الكبار ، ألف الكبير من الكتب أهمها "المدينة الفاضلة" ونظريته في النفس تقوم على أن النفس لها أربع قوى هما :

- ✓ **القوة الغاذية** : وهي القوة التي يتغذى بها الإنسان و القوة الرئيسية محلها القلب ثم تتفرع قوى ثانوية في الجسم هما المعدة الكبد و الطحال
- ✓ **القوة الحاسة:** وبها يتم إدراك الحواس الخمس بحيث كل حاسة تختص بجانب معين من الإحساس

- ✓ **القوة المتخيلة:** و هي ترسم في النفس من الحواس بعد غيابها عن الحس وتركيب صور الحواس كما تتخيل الشيء الذي مضى و الذي سيحدث .
- ✓ **القوة الناطقة :** وهي التي يعقل بها الإنسان ويميز بها بين الأشياء بين الجميل و القبيح وبين الغث و الثمين وتنقسم القوة الناطقة إلى ثلاث
  - **النظرية** / وهي التي يحوز بها الإنسان المعارف و العلوم النظرية و
  - **العملية**/ وهي التي يحوز بها أيضا الصناعات و الحرف
  - **النزوعية** / وهي التي يكون بها نزوع الإنسان أن يطلب الشيء أو يهرب منه و محل القوى النفسية

ب-ابن سينا 980- 1036: هو أكبر فيلسوف وعالم نفس في العصور الوسطى ، ألف الكثير من الكتب وكانت عنايته بعلم النفس فائقة وله كتاب شهير " النفس " واشتهر بلقب فخري وهو "الشيخ الرئيس" فيرى بأن النفس جوهر روحاني قائم بذاته وهو أصل القيمة المدركة و المحركة لأجزاء البدن وفي نظرياته أنه يقسم القوى النفس إلى ثلاث أقسام :

- ✓ **قوى يشترك فيها الإنسان و الحيوان و النبات** :وهي النفس النباتية ولها ثلاث وظائف التغذي والنمو و التوليد .
- ✓ **قوى يشترك فيها الإنسان و الحيوان ولا توجد للنبات:** و هي النفس الحيوانية ولها قوى كثيرة مثل القوى الإدراكية و بالحواس الخمس و القوى النزوعية إلى الشهوة و الغضب
- ✓ **قوى تخص الإنسان فقط :** ولا توجد عند الحيوان أو النبات وهي النفس الناطقة أو الإنسانية وتحتوي على قوى عديدة أهمها العقل العملي من التعامل مع شئون الحياة اليومية ، و العقل النظري وهو قوة عالمة يدرك الإنسان المعارف النظرية و المكتسبات .

ج – **أبو حامد الغزالي 1058-1111:** وهو من أبرز العلماء الدين و الفلسفة أشتهر بلقب فخري وهو " حجة الإسلام "، ألف العديد من الكتب في علوم الدين و الفلسفة وعلم النفس وله العديد من الكتب النفسية و التربوية أشهرها " معارج القدس " ونظرياته في علم النفس واسعة وخاصة في علم النفس الاجتماعي و الأخلاقي ونورد منها في النقاط الآتية :

- يقسم قوى النفس بنفس أسلوب الذي أتبعه ابن سينا
- نظرية في الانفعالات النفسية نظرية مبتكرة ترى أن الغضب قوى محلها القلب و الغضب هو غليان الدم القلب بطلب الانتقام وأسبابه الزهو والعجب – وهذا الغضب إذ تم كظمه رجع إلى باطن الإنسان واختفى

وسار فيه حقدا ، و الحقد يثمر الحسد وهو تمني زوال النعمة من الغير ، و الغضب و الشهوة هي من الأبواب التي تدخل الشياطين إلى قلب الإنسان.

- **ثالثا علم النفس عند الأوروبيين :** في أوربا في بداية الأمر لم تشهد تأمل علمي كبير في طبيعة النفس البشرية حيث كانت أشد العصور ظلاما وقسوة ضد المرض عقليا و الجسدي أو الإعاقة الجسدية وهذا نظرا لسيطرة رجال الكنيسة الذين كانوا يقتلون المعوقين لبؤسهم وبؤس الآلهة لهم ويحرقون المرضى العقلية وكذالك العلماء الذين لم يمشوا في صف وآراء رجال الكنيسة كونهم بهم مس من الشيطان في اعتقاد رجال الكنيسة .
- وكان لزاما انتظار القرن 17م ليبدأ الفيلسوف الفرنسي "**ديكارت 1576-1650** " انطلاقة دعمت البحث السيكولوجي ، بحيث الجسد آلة تتحرك وتتصرف وفق طرائق يمكن التنبؤ بها إذا عرفت مدخلاتها وما يمكن التنبؤ به خاضع للبحث العلمي سواء للعضوية الإنسانية أو الحيوانية وهذه التفسيرات التي قدمها ديكارت مبادئها فيزيائية على آليات جسد، وكذا كما طبق" **لامتري 1709-1751** " التفسير الميكانيكي نفسه على السلوك البشري و الشعور آلة تتوقف جسدا وعقلا على أحداث فيزيائية مثل المرض ، عمى ...إلى غير ذلك وقد كانت الفلسفة الخبرية الانجليزية التي تعني كل المعرفة الإنسانية ناجمة عن الخبرة وليس عن الأفكار الفطرية و يمثل الفلسفة الخبرية " **جون لوك –دافيد هيوم –جيمس ميل**" ومن صفاتها أنها سيكولوجية حواس .

وبناءا على قول عالم النفس الشهير الألماني "**هيرمان ابنغهاوس 1850-1909**" إن لعلم النفس ماضيا بعيدا و لكن تاريخه قصيرا أي علم النفس لم يستقر كعلم راسخ معترف ب إلا قبل النصف الثاني من القرن 19م ، حيث أن بعض المؤرخين يعترون عام 1860 م هو تاريخ صدور كتاب عناصر علم النفس الفيزيائي للعالم الألماني "**ثيودور فيخنر 1801-1887**" بدية علم النفس الحديث في حين يعتمد معظمهم عام 1879م وهو تاريخ تأسيس أول مخبر في علم النفس في جامعة لايبزغ يد الألماني " **فهلم فونت 1832-1920**" رغير أن تحديد تاريخ دقيق لبداية علم النفس يعتبر مسألة اصطلاحية فموضوعات علم النفس لن تفهم دون العدة إلى أصولها العميقة " الفلسفية – البيولوجية – الفيسيولوجية ...وغيرها من العلوم " .